

واقع وإشكالية اكتساب اللغة العربية

/أ/ عبدالرحمان الوافي
قسم علم النفس وعلوم التربية
جامعة الجزائر

ملخص:

انطلاقاً من القضية التي طرحت في المادة الأخيرة حول إشكالية تعليم اللغة العربية، تدريسها وتحصيلها، والتعامل بها في الحياة الاجتماعية دون تعسر، واستناداً إلى واقع اللغة العربية ومناهج تدريسها في مدارسنا اليوم، يذهب هذا البحث إلى الكشف وتوضيح العوامل الأساسية المؤثرة في عملية الاكتساب اللغوي منها: الأسرة وطرائق التدريس والكتاب المدرسي وبخاصة العوامل ذات الصلة بالمعلم والمتعلم، ذلك قصد الوصول بالتميز إلى مستوى أفضل يسمح له، بممارسة اللغة العربية على الوجه الصحيح خارج وداخل المدرسة.

ومن جهة أخرى يدرس أهم الجوانب التي تواجه عملية تدريس اللغة والتي حددت في الواقع التعليمي المدرسي الذي لا يزال يحتاج جهوداً كبيرة من الباحثين بغية الوقوف أمام العوامل المؤثرة سلباً في الاكتساب اللغوي.

RESUME

Partant de la question soulevée ces derniers temps autour de la problématique de l'enseignement, assimilation, acquisition et utilisation de la langue arabe dans les divers aspects de la vie quotidienne et s'appuyant sur la réalité de la langue arabe et ses méthodes actuelles d'enseignement dans nos écoles, la présente recherche tend à déceler et d'éclaircir les principaux facteurs qui influent sur l'opération d'acquisition linguistiques tels la famille, les méthodes didactiques; le livre scolaire et notamment les facteurs ayant trait à l'enseignant et l'élève.

L'objectif de cette recherche est d'amener l'élève à acquérir un niveau meilleur permettant à l'élève d'utiliser parfaitement la langue arabe à l'intérieur et en dehors de l'école, d'autre part, cette recherche se penche sur les aspects principaux entravant l'opération d'enseignement de la langue arabe qui résident dans la réalité d'enseignement scolaire. Cette réalité interpelle les chercheurs en vue de déployer des efforts considérables et d'étudier les dits facteurs qui influent négativement sur l'acquisition linguistique.

لا يعالج هذا المقال القضية التي طرحت في المدة الأخيرة حول إشكالية تعليم اللغة العربية تدريسيها، تحصيلها، والتعامل بها في الحياة الاجتماعية دون تعسر . بقدر ما يهتم بالإشارة إلى الواقع التاريخي الذي عاشته اللغة العربية مع ذكر إشكالية وصعوبة تعليمها بتوضيح العوامل الأساسية المؤثرة في الإكتساب اللغوي لدى الطفل، حيث أن اكتساب اللغة واستخدامها بكل سهولة أمر يتوقف إلى حد كبير على عوامل شتى منها: الأسرة وطرائق التدريس والكتاب المدرسي وتنظيم مادة التدريس، العوامل التي لا بد أن يولي لها الإهتمام الكبير في كل عملية تعليمية تربوية .

مفهوم اللغة : تعرف اللغة على أنها من الخصائص البارزة التي تميز الكائن البشري عن المخلوقات الأخرى، فهي تقتضي مضمونا فكريا وشكلا فيزيائيا مشكلا من الحروف والعبارات . وهذان شرطان يستلزمان أدوات عضوية : مراكز مخية لغوية، وجهاز صوتي، لأن اللغة فعل فزيولوجي من حيث أنها تدفع عددا من أعضاء الجسم الإنساني إلى العمل، وهي فعل نفسي من حيث أنها استجابة لحاجة الإتصال بين الناس... ثم إنها في النهاية حقيقة تاريخية لأمر فيها نعر عليه في صورة متباينة الاختلاف على سطح المعمورة قاطبة.

وقد نجد أحيانا اختلافا في تعريف اللغة، و ذلك يعود إلى تباين المنطلقات الفكرية لأصحابها فعلى سبيل المثال، نرى أن ابن منظور ذهب إلى تعريف اللغة على أنها من الأسماء الناقصة وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم واللغو هو النطق، ويقال : " هذه لغتهم التي يلغون بها، أي ينطقون " . (ابن منظور، " لسان العرب "، المجلد 15، ص 250 — 252) .

ويعتبر تعريف ابن جني للغة أقدم تعريف خصت به اللغة حيث قال : "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " . فهو قصر تعريفها على الأصوات دون الكتابة وهذا دليل على أن اللغة في أصلها منطوقة لا مكتوبة، ومنه يكون الصوت سابقا عن الرمز الكتابي بالآلاف السنين، لأن الكتابة تعبر عن مرحلة متطورة حضاريا أفرزتها مقتضيات التمدن والتحضر .

أما ابن خلدون فقد عرّف اللغة بقوله : " أعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة التكلم عن مقصودة، وتلك العبارة فعل الإنسان فلا بد أن تصير ملكة

متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم .

ويرى علماء النفس بخاصة عبد المجيد عبد العزيز الذي ذهب يقول : " إن اللغة هي مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور، أي عن حالات الإنسان الفكرية و العاطفية والإرادية، وأنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية فكرة ذهنية إلى أجزائها أو إلى خصائصها والتي بها يمكن تركيب هذه الفكرة مرة أخرى في أذهاننا وفي أذهان غيرنا، وذلك بتأليف كلمات ووضعها في ترتيب خاص".

بيد أن ما نستطيع قوله هو: "إن اللغة وسيلة تعبير واتصال وتفاعل اجتماعي، تحقق أغراض كل مجتمع بحسب مصطلحاته، وتكون متغيرة متبدلة بحسب الناس الذين يتكلمون بها وهي مجموعة من الرموز التي تمثل المعاني المختلفة، وهي نوعان لفظية (الشفوية) وغير لفظية (المكتوبة)، نسمعها منطوقة ونقرأها مكتوبة — بخلاف الكلام الذي هو صورة من صور اللغة يستخدم فيه الإنسان المنكلم الكلمات للتعبير عن أفكاره وأحاسيسه"، ولتقريب الفرق بين الكلام واللغة نقدم على سبيل المثال الصيغتين التاليتين :

الكلام يمثل : كلام الفرد أ + كلام الفرد ب + كلام الفرد ج... إلخ.

اللغة تمثل : لغة القوم أ + لغة القوم ب + لغة القوم ج... إلخ.

أما إذا تناولنا الحديث عن القدرة اللغوية فنقول: "إنها قدرة مركبة يمكن تحليلها إلى عوامل أبسط منها حيث أنها تكمن في جميع أساليب النشاط اللغوي". هذه القدرة اللغوية تساهم في تركيبها مجموعتان من العوامل:

1. المجموعة الأولى: هذه المجموعة تتعلق بالمضمون وهي المادة

التي تعمل بها القدرة اللغوية ومن بين العوامل المتعلقة بها عامل الكلمات الذي يتعلق بالكلمات في حد ذاتها، أي قدرة الفرد على ممارسة الكلمة من حيث أنها وحدة سواء على مستوى قراءتها أو استعمالها استعمالاً صحيحاً، هذا ما يعبر عن قدرة الشخص على فهم الكلمات عند قراءتها أو سماعها واختياره للكلمة الدقيقة الدالة على فكرة معينة والنطق بها أو كتابتها على وجه سليم .

2. **المجموعة الثانية :** تختص هذه المجموعة بعامل اللغة الذي يتعلق بالعبارة والجملة حيث أن الجملة تفيذ معنا صعبا، والمقصود منه قدرة الشخص على فهم العبارات والجمل والتراتب اللغوية بغية التعبير الدقيق والطلاقة والسرعة فيه شريطة إدراك العلاقات اللفظية ومعاني الكلمات حتى يتمكن الفرد استخدام كلمات أدق في تعبير معين كتابي أو شفوي .

واقع اللغة العربية : ما يمكن ذكره في بادئ الأمر هو أن اللغة العربية تتميز بميزة فريدة على سائر اللغات الأخرى وهي ارتباطها بالقرآن الكريم الذي حفظها من الإندثار الذي تعرضت له بعض من اللغات عبر مسيرة التاريخ .

ومن المعلوم فإن هذه اللغة العربية مع الفتوحات الإسلامية الكبرى اكتسحت اللهجات واللغات المحلية لتلك البلدان، وصهرتها في بوتقتها فلم تمض إلا فترة قصيرة من الزمن حتى أصبحت اللغة العربية لغة البلاد المفتوحة، وأقبل، بل ذهب أبناؤها منهم : سيبويه والكسائي وابن جني ... إلى جمع مفرداتها وصياغة قواعدها، فاستوعبت حضارة واسعة النطاق عميقة الأثر، ممتدة التاريخ، وعن إثرها تأسست الحضارة وعوامل التقدم في كل العلوم الطبيعية والرياضيات والطب والفلك والموسيقى ... إلخ .

غير أنه مع الزمن وبمرور السنين وظهور الإستعمار واحتلال الأراضي العربية، تعرضت بذلك اللغة العربية لأزمات عنيفة عاصفة كادت أن تعصف بها . وراحت هذه اللغة العربية تبتعد شيئا فشيئا عن لغة الحياة اليومية، فظهرت اللهجات (العامية، الدارجة)، وشجع على ذلك ضعف أهلها وعمل الإستعمار واغراضه الخبيثة في القضاء عليها، حيث كان يعمل بشتى الوسائل لإزاحتها، لأنه كان يعتقد أن تطبيق سياسة القضاء على لغة شعب من الشعوب هو أقوى سلاح لقهره، فاعتمد بذلك الإستعمار أو الإستعمار الفرنسي مثلا على محاربة اللغة العربية والقضاء عليها منتهجا الخلاف بين عناصر الشعب الجزائري وتكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الجزائرية .

بيد أنه مع مرور السنين وبعد الكفاح المرير الذي خاضه الشعب الجزائري بخاصة أبناء جيل الثورة التحريرية الكبرى، لم يفلح الإستعمار الفرنسي ولم يستطع القضاء على كيان الشعب الجزائري وعلى لغته .

وكما هو معلوم تخلص الشعب الجزائري من الإستعمار الفرنسي بصفة نهائية يوم 5 جويلية 1962 ونال استقلاله عن جدارة واستحقاق واسترجع بذلك حريته وسيادته، غير أنه بعد رحيل الإستعمار، بقيت مشكلة اللغة العربية عالقة، ومع مرور الزمن أصبحت عند البعض ظاهرة يصعب عليها أن تحتل مكانها اللائق في كل المجالات، وحتجهم تكمن في عدم توفير وتهيئة كل الوسائل والمناهج الكفيلة لتدريس وتعليم اللغة العربية على أسس علمية صحيحة وسليمة. وأنها من جهة أخرى، حسب اعتقادهم تبقى دائما عاجزة عن مسايرة التطور العلمي الحديث لعدم وجود المراجع والكتب العلمية الناطقة بها. وما نستطيع قوله هنا هو إن القصور لا يكمن في اللغة العربية، بل يتمثل في عجز هؤلاء الأشخاص وفي ضعفهم وفي عدم قدرتهم على تطويرها، ذلك لأن اللغة أيا كانت، هي دائما أداة تفكير وتعبير ووسيلة اتصال وأداة تعلم وتعليم. واللغة العربية ليست بمعزل عن هذه اللغات، فهي اضافة إلى ما تقدم ذكره " لغة القرآن الكريم " الذي جعلها متميزة عما عداها من اللغات الأخرى، ويقول نايف معروف في خصائص اللغة العربية: " هي اللغة التي إختارها رب العالمين لتكون لغة الوحي لأهل الأرض جميعا " حيث قال تعالى: " إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " .

وإذا كانت اللغة العربية قد ظلت في المجتمع الجزائري ما يزيد عن عقـد من الزمن تدرس كمادة مستقلة بذاتها تاركة لغة التدريس للفرنسية، فهي الآن والفضل يعود إلى القائمين على قطاع التربية، قد أصبحت لغة لتدريس مختلف المواد الدراسية وهذا طبقا لما جاء في برامج التعليم المتوسط صراحة في الفقرة التالية: " ومن أهداف تدريس اللغة العربية أيضا تمهيد السبيل لجعلها لغة التخاطب واتخاذها أداة لتدريس مختلف العلوم والمواد الدراسية وعدم الإتكال على اللغات الأجنبية وحدها في هذا المجال " .

وهنا هل نستطيع أن نتساءل هل أن الأمل قد تحقق بظهور المدرسة الأساسية إلى الوجود المدرسة التي أصبحت تستخدم اللغة العربية في جميع مستويات التعليم والتكوين ؟ . أم أن الأمر هو جزء أساسي من كيان كل مجتمع يلزمه منذ طفولته ويرافقه في كل مرحلة من مراحل حياته ؟ .

اشكالية تدريس اللغة العربية : استنادا إلى ما سبق ذكره، نود أن نقف هنا وقفة علمية لتوضيح اشكالية تدريس اللغة العربية بالإشارة إلى

العوامل التي لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار في كل عملية تربوية بخاصة تعليم اللغة العربية، حيث أن تحصيل التلميذ لمادة دراسية ما يتأثر بكثير من العوامل ذات الصلة بالمعلم والمتعلم، وبكل التسهيلات المتوفرة في المواقف التعليمية وعلى رأسها اللغة المستخدمة والتي هي الوسيلة للإتصال بين المعلم والمتعلم وحتى يبلغ هذا الإتصال إلى فاعليته فلا بد أن تكون اللغة المستخدمة في إيصال المعلومات مفهومة لدى التلاميذ أولاً . وقد وجهت في المدة الأخيرة للمنظومة التربوية بخاصة لمنهاج تدريس اللغة العربية عدة ملاحظات واعتراضات وانتقادات تطالب بإعادة النظر في المناهج البيداغوجية المعمول بها وتبديلها وتغييرها بمناهج أخرى أكثر فعالية لتطوير التعليم ضمن مفهوم جزائري للمدرسة، هذه الآراء التي جاء بها أولئك الذين اقتنعوا بفشل المناهج التربوية البيداغوجية والطرائق التعليمية لهذه اللغة تجعلنا نتساءل هل أن القيام بتعديل وتغيير هذه المناهج، أي تغيير الطرائق التعليمية المعمول بها حالياً في المدارس الجزائرية تكون بمثابة العامل الأساسي الذي ينتهي إلى حل المشكلة بسرعة ؟، أي حل مشكلة تعليم اللغة العربية ويصبح التلميذ الجزائري قادراً على الكتابة والقراءة والتعبير بهذه اللغة دون تعسر وصعوبة ؟

وإذا كانت مليكة قريفو التي أشارت في كتابها " المدرسة الجزائرية من ابن باديس إلى بافلوف " قد أكدت على أن الطفل الجزائري له تعسر إملائي ويكتب مثلاً الكلمات التالية : معظم اضافة، أخضر، وضع، نظر، وظيفة، على الشكل التالي : " معظم، اظافة، أخضر، وضع، نضر، وضيفة"، ويقرأ بصعوبة ويتحدث بلغة غير سليمة حيث يقول مثلاً : " جننا أبيّ بارسكو الكوس كان " روطار " والصحيح هو : " أتينا على الأقدام لأن الحافلة تأخرت " .

فإذا كان الأمر كذلك، فهل نستطيع أن نتساءل : هل أن الصعوبة تكمن في اللغة العربية في حد ذاتها وأنها صعبة للتعلم ؟، أم أن المسألة ترجع إلى قدرات التلميذ للتعلم أو إلى فشل المعلم له ؟. نتساءل هنا لأنه في أغلب اللغات - إن لم نقل في جميعها - توجد صعوبات تشكل عائقاً أمام المتعلمين الشيء الذي يمنهم من تحصيل الملكة اللغوية تحصيلًا جيدًا إلا بعد مرورهم بمستويات دراسية معينة، وذلك بالحفظ تارة وبالتطبيق تارة أخرى و عن طريق التدريب والممارسة والمراس .

وتكون اللغة العربية إحدى هذه اللغات التي يجد فيها التلميذ العربي صعوبات تتضح في الإملاء والنحو والصرف . وقد توصل الباحثون في الخط العربي إلى أن في الإملاء العربي تكمن جملة من المشكلات تتجلى في رسم الهمزة المتوسطة والمتطرفة وهمزة الوصل والقطع ودخول لام الجر على (ال) الشمسية والقمرية (للشمس، للغة) والهمزة الممدودة (يملأن) وعلى سبيل المثال قد يجد أيضا التلميذ الأسباني صعوبة في استخدام الفعل " كان " الذي هو في اللغة الأسبانية يتشكل من فعلين Ser و Estar، وكيف يكتب التلميذ الفرنسي مؤنث كلمة " Malin " لأنه حسب قواعد اللغة الفرنسية فإن مؤنث كلمة " Malin " يكتب " Maligne " فأني للطفل الفرنسي إدراكها إن لم يكن قد تعلمها وتدرّب عليها .

ومن هنا نستطيع القول : إن استيعاب صعوبات قواعد لغة ما يتطلب عملا عقليا شاقا باستعمال الفكر والانتباه والحصول الوافر على الألفاظ والأساليب التي ينبغي أن تكون في حوزة المتعلم حتى يفهم الدروس بسهولة.

وهذا ما يجعلنا نتساءل مرة أخرى هل أن القيام ببحوث ودراسات مع ابتكار وسائل ومناهج بيداغوجية جديدة أو العودة إلى الطريقة الباديسية واستعمال نظرية من نظريات التعليم يقضي بصفة نهائية على العادات اللفظية اللغوية التي ورثناها من أجدادنا وأبائنا و أمهاتنا واكتسبناها من محيطنا الاجتماعي ؟ . وهل يستطيع بذلك الطفل الجزائري ممارسة اللغة العربية بنجاح داخل وخارج المدرسة ؟ . وهل يؤدي هذا فعلا إلى القضاء على الكلمات والجمال التي رسخت في أذهاننا والتي يستخدمها الطفل في حياته اليومية وفي بيئته الصغيرة والكبيرة ومن أمثلة ذلك نذكر ما يلي :

" عندك الزلاMIT — ألبس نقاشرك وسباطك — كل بالفرشيطة — أمسح وجهك بالسرييطة — سمعتها في البوست — راح في التران — لا لا راح في الطرولي — هاو إشوف الماتش " .

ونعرض فيما يلي بعض الكلمات الدارجة (العامية) التي يكتسبها الطفل في البيت (الأسرة) قبل إلتحاقه بالمدرسة .

الكلمة المكتسبة	أصل الكلمة	المقابل العربي
زلاميت	Allumettes	كبريت، ثقاب
مشوارة	Mouchoir	منديل
فرشيطة	Fourchette	شوكة
سريبطة	Serviette	منشفة
طنوبيل	Automobile	سيارة - عربية
بواطة	Boîte	علبة
طابطة	Table	طاولة
كوزينة	Cuisine	مطبخ
كرطاب	Cartable	محفظة
ليكول	Ecole	مدرسة
طبسي	Assiette	صحن

جدول رقم 1 : يوضح الكلمات التي يكتسبها الطفل من البيت قبل إتحافه بالمدرسة

ونعرض في الجدول الآتي بعض الجمل التي يكتسبها الطفل من بيئته الأسرية والاجتماعية:

الجمل المكتسبة باللاتينية	المقابل العربي
سي با قراف	ليس خطيرا
يمة خويا مونكا ليكول	أمي أخي لم يذهب إلى المدرسة
اشري طنوبيل	اشترى سيارة
واش دار أكسيدون ؟	هل وقع له حادث ؟
قل لو باردون	اطلب منه العفو
اشريت التيكى ؟	هل اشتريت التنكرة ؟
قريت الجرنال ؟	هل قرأت الجريدة ؟
فوايجا أحمد	سافر أحمد
ضربو بالمرطو	ضربه بالمطرقة
راح لستاد	ذهب إلى الملعب
عندك لادريسة	هل لديك العنوان

جدول رقم 2 : يوضح الجمل التي يكتسبها الطفل من البيئة الأسرية والاجتماعية

فأمام هذا الواقع، نقول إن هناك كلمات لاتينية حلت محل بعض الكلمات العربية واختلطت بذلك الأمور بين الفصحى والدارجة (العامية). وتكون بذلك القضية مسألة أسرية تربوية اجتماعية عميقة تتطلب منا وقتاً طويلاً وجهوداً

كبيرة للقيام بتغيير جذري لتوحيد الكلام (اللغة) في البيت (الأسرة) وفي المدرسة في هذا الإطار الاجتماعي الكبير.

وقد أشار مصطفى عشوي في كتابه " المدرسة الجزائرية إلى أين ؟ ". إلى أن اشكالية تقديم المكتوب على المقول في تعليم اللغة العربية متناقض بدرجات متفاوتة مع التربية الأسرية واللغة السائدة في المحيط (العربية الدارجة، لغة محلية أخرى، لغة أجنبية أو مزيج من هذه وتلك) حيث غالبا ما يتعلم الطفل بخاصة في الجزائر اللغة العربية الدارجة أولا (شفويا) أو لغة أخرى (الأمازيغية مثلا) أو حتى لغة أجنبية بخاصة الفرنسية أو لغتين (العربية الدارجة والأمازيغية مثلا)، وهذا كله قبل الدخول إلى المدرسة.

واستنادا إلى ما أشار إليه مصطفى عشوي، هل يمكننا التساؤل عن الطرائق والمناهج التي عن إثرها نتخلص من الكلمات والجمل الدارجة (العامية) ومن المزيج بين اللغات (الفصحى والدارجة والأمازيغية والفرنسية) الراسخة في أذهاننا والمستخدمة على الدوام داخل وخارج الأسرة.

فإذا كان مصطفى عشوي قد أكد على أن اكتساب اللغة يبدأ في الأسرة قبل إلتحاق النشء إلى المدرسة، فهل يكون علينا لازما الأخذ بعين الاعتبار تأثير الأسرة في الإكتساب والتلقين واعداد الطفل لغويا قبل إلتحاقه بالمدرسة ؟ وهل نستطيع من جهة أخرى اعتبار الأسرة المؤسسة الأولى المسؤولة عن هذا الإكتساب اللغوي ؟

ولقد دلت الدراسات الحديثة التي أجريت في هذا الصدد على أن العامل الأساسي والرئيسي الذي يتحكم في نجاح الطفل لغويا ليس هو خبرة ومهارة المعلم وليس هو تكوين المدير وليس هو الجو الحسن للمدرسة وليس هو جودة الكتاب المدرسي ولا تنوع الهياكل والتجهيزات في البرامج الدراسية، بل يكمن في الإطار الأسري الذي يعيش فيه الطفل، حيث أنه هو الذي يحدد اكتساب المهارات اللغوية الجيدة، وعليه، فهل يذهب بنا الاعتقاد إلى أن استخدام اللغة العربية بسلام هو أمر مرهون بالجو الأسري وباللغة التي يستخدمها في تشكيل الطفل لغويا ؟

فإذا كان كذلك، فهل يكون لازما ابتكار وسائل تربوية بيداغوجية موجهة إلى الأسرة تؤدي بها إلى القضاء على الراسخ من لغة دارجة وأخرى أجنبية في أذهاننا ؟ . أم أن العودة إلى الطرائق الباديسية تكون كافية للإكتساب

الجيد للمهارات اللغوية ويصبح الطفل الجزائري قادرا على الكتابة والتعبير باللغة العربية دون تعسر و أن لا يمزج بين اللغات لتركيب جملة والتلفظ بها ؟ ويكون هذا من مهام وأهداف وزارة التربية حيث جاء في المادة 25 من الأمر المتعلق بتنظيم التربية والتكوين ما يلي : " توفر المدرسة الأساسية للتلاميذ دراسة اللغة العربية بحيث يتقنون التعبير بها شفاهيا وتحريريا، وتهدف هذه الدراسة التي تعتبر عاملا من عوامل شخصيتهم القومية التي تزودهم بأداة للعمل والتبادل وتمكنهم من تلقي المعارف واستيعاب مختلف المواد، كما تتيح لهم التجاوب مع محيطهم ".

وحتى نستطيع الوصول إلى هذا المستوى اللغوي، علينا إذن في بداية الأمر الأخذ بعين الاعتبار عامل الأسرة كعامل أساسي في كل عملية تربوية هادفة، ذلك لأهميتها القصوى بإعتبارها الخلية الأساسية والعمود الفقري للإكتساب الجيد للغة والكلام مع الإضطلاع بمراحل النمو اللغوي لدى الطفل وبتوفير المناهج التربوية السليمة التي تؤدي إلى الإكتساب الجيد في كل الميادين.

والجدير بالذكر هو أن التربية اللغوية عملية لا تختص بها الأسرة فقط، بل يختص بها أيضا المربون والمعلمون وغيرهم من الذين يمثلون ثقافة المجتمع، حيث تبدأ هذه التربية في البيت ثم تمضي في المدرسة وخارجها في الملعب وفي الحفلات وفي النوادي وأثناء الإحتكاك المستمر بالناس في السوق وفي الشارع، لذلك نلح على أهمية التربية اللغوية في المدرسة لأنها تكون أشد تركيزا في هذه المرحلة التعليمية وعاملا هاما في تنمية القدرة اللغوية للطفل حيث أنها تستطيع أن تفعل الكثير من أجله إن قامت برسالتها كما ينبغي لها أن تفعل.

اكتساب اللغة : دلت البحوث العلمية على أن اللغة عند الإنسان تبدأ

مع صراخ الطفل ساعة ولادته، بل لقد حاول علماء نفس الطفل تتبع بكاء الطفل وتبين لهم أنه ليس كل بكاء الطفل وصياحه سببه عدم الإرتياح، بل قد يكون نتيجة للجوع، ثم مع مرور الأيام يصبح بكاء الصغير أكثر تعبيرا وأكثر اعتمادا على الظروف والمواقف الخارجية، فيبدأ النمو اللغوي مع مرحلة الرضاعة حيث يصدر الرضيع أصواتا متنوعة تفهمها الأم - المناغاة التقليدية - التي تظهر في الشهر الثالث تقريبا إذ ينادي الرضيع نفسه دون أن يكون هناك من يستجيب لصوته ويتطور بكاء الطفل بعد الشهر الخامس والسادس إلى أصوات يمكن تسميتها أصوات اللعب ويستخدمها لإثارة الإنتباه

إليه والتعبير عن ذاته و إحداث استجابة الغير نحوه، وحتى سن حوالي ثمانية شهور وجد أن الأطفال في مختلف البيئات يحدثون أصواتا متشابهة ومتماثلة إلى حد كبير مما يدل على أن الأطفال حتى هذه السن لا يعرفون بعد أية لغة وإنما يصدرون أصواتا وإن كان لبعضها معنى ويتصلون بها بالبيئة .

وتتطور لغة الرضيع مع نهاية الشهر التاسع أين يبدأ النطق بالحروف الحلقية (أ) ثم تظهر حروف الشفة (م . ب) ثم يجمع بين الحروف الحلقية وحروف الشفة (بابا- ماما) ثم تظهر الحروف السنية (د . ت) ثم الحروف الأنفية (ن) وهكذا ...

وقد توصلت الدراسات العلمية إلى أن الطفل في سن عشرة شهور يصبح قادرا على نطق كلمة واحدة ذات معنى وتصبح حصيلته من ثلاث إلى أربع كلمات عند نهاية السنة الأولى من العمر وهي المرحلة التي يطلق عليها إسم " مرحلة المعاني " وفيها ترتبط بالحروف والكلمات معان محددة مثل كلمة "بابا" فتعني الأب و كلمة "ماما" الأم .

وكما دلت دراسات أخرى على أن الطفل في سن الثالثة من العمر قد تكون لديه حوالي 800 كلمة وعند سن الرابعة من العمر يمكن للطفل العادي أن يقص جملة كاملة تتكون من 7 إلى 8 كلمات، وما إن يصل خمس سنوات حتى تكون حصيلته من الكلمات تتفاوت بين الألفين وثلاثة الآلاف كلمة .

وقد ميّز بياجى في دراساته حول النمو الذهني لدى الطفل بين عدد كبير من المراحل التي يمر بها الطفل مبينا أن كل مرحلة تعبر عن حالة من التوازن بين مختلف مظاهر أشكال النمو العقلي، فهي عند تكون بمثابة محطات في مسيرة الفرد نحو النمو واكتساب اللغوي.

هذه المدة التي يستغرقها في اكتساب اللغة يطلق عليها علماء نفس الطفل المرحلة قبل المدرسة وهي تنقسم بدورها إلى مرحلتين : المرحلة الأولى : " المرحلة القبلغوية " وهي مرحلة تمهيد واستعداد وتشمل ثلاثة أطوار : طور الصراخ و طور المناغاة و طور التقليد، أما المرحلة الثانية فقد أطلقوا عليها اسم المرحلة اللغوية التي يشهد فيها الطفل انبثاق ملكة التكلم وقسموها إلى طورين : " طور تعلم المفردات و طور تعلم تركيب الجمل.

وتزداد اللغة عند الطفل تطورا ما أن يصل إلى مرحلة الطفولة الوسطى والتحاقه بالمدرسة حيث يصبح رصيده يفوق ال 2600 كلمة ويزداد بحوالي

50 %، وبالمقابل يشير علماء النفس اللغوي إلى أن هذه المرحلة هي مرحلة الجمل المركبة الطويلة التي يستطيع فيها الطفل استخدام التعبير الشفوي العوامل المؤثرة في الإكتساب اللغوي : سبق أن أشرنا إلى أن اكتساب اللغة يتوقف إلى حد كبير على عوامل شتى ومن هذه العوامل نذكر ما يلي :

الأسرة واكتساب اللغة : يولد الإنسان مزوداً بأنواع شتى من الإستعدادات الجسمية والعقلية واللغوية، كما يتميز بذكاء وبقدرة على التعلم والتذكر والحفظ والنسيان، وتتأثر هذه الإستعدادات والنمو اللغوي بالمناخ الأسري العام وبال علاقات الأسرية الثقافية التي ينشأ فيها الطفل تأثيراً إيجابياً أو سلبياً، ذلك لأن الأسرة تشكل الإطار الرئيسي الذي يرتبط به الطفل كل الارتباط منذ اللحظة الأولى من ولادته .

وتعتبر الأسرة في كافة المجتمعات المؤسسة البالغة الأهمية بالنسبة لهذا النمو اللغوي، فهي العامل الأساسي الذي يسيّر هذا النمو والإكتساب اللغوي من سن الطفولة قبل المدرسية حتى بداية سن الالتحاق بالمدرسة الابتدائية (الأساسية).

وقد أكدت تجارب علماء التربية على أن الأسرة تبقى دائماً أقوى سلاح يستخدمه المجتمع في عمليات التطبيع والتنشئة ونقل التراث الثقافي من جيل إلى آخر، كما دلت أبحاث علماء النفس التربوي على أن ما للتربية في الأسرة من أثر عميق خطير يتضاءل دونه أثر أية منظمة اجتماعية أخرى في تعيين الشخصيات وتشكيلها خاصة خلال مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة، أي السنوات الأولى من حياة الفرد، وذلك لأسباب عديدة منها : أن الطفل في هذه المرحلة يخضع لسلطة الأسرة ويكون فيها سهل التأثر - سهل التشكل - شديد القابلية للإيحاء والتعليم، في حاجة دائمة إلى من يعوله ويرعى حاجته العضوية والنفسية المختلفة.

ويذهب أبو حامد الغزالي مذهب أرسطو في أن الولد يولد صفحة بيضاء وهو أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وتعلمه، نشأ عليه وسعد في الدنيا وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عوّد الشر أهمل، شقي وهلك وكان الوزر في رقبة الوالي له. وهنا نقول إن أبا حامد الغزالي يحمل الآباء والأولياء مسؤولية التنشئة

والتكوين واكتساب المعرفي السوي للأطفال، ذلك لأن الأولياء في نظره يكونون بمثابة الإطار الأساسي والرئيسي في إعداد الطفل .

فقد لا يمكن إذن إعداد أجيال سليمة لغويا إن لم تكن الأسرة على إطلاع بقدر كبير عن مفهوم اللغة ومراحل النمو الذهني واكتساب اللغة التي يمر بها الطفل وما يحتاجه من عناية تعليمية فائقة في هذه الفترة من العمر، ذلك لتجنب اضطرابات الكلام وعيوب النطق التي قد تظهر لبعض الأطفال منذ سنواتهم الأولى من العمر، وحتى نصل إلى مستوى الإكتساب الجيد، نرى أنه لازم فهم وإدراك دور الأسرة وتأثيرها في التحصيل واكتساب الكلام لأن التكلم بلغة سليمة أمر مكتسب وليس فطريا .

الإستعداد واكتساب المعاني : الإستعداد هو قدرة الفرد الكامنة التي تجعله يتعلم في سرعة وسهولة وعلى أن يصل إلى مستوى عال من المهارة في مجال معين، كالعلوم الطبية أو الرياضيات أو الدراسات الجامعية، أن توفر له التدريب والممارسة اللازمان .

أما الإستعداد اللغوي فيبدو في القدرة على معالجة الأفكار والمعاني عن طريق استخدام الألفاظ التي هي عبارة عن رموز مجسمة وقوالب تصب فيها الأفكار وبدائل عن أشياء وأحداث وصفات وعلاقات . وكما يبدو أيضا في عدة مظاهر تتجلى في سهولة فهم الألفاظ والجمل من علاقات مختلفة، علاقات تشابه أو تضاد، وفي سهولة التعبير التحريري والشفوي، وفي استرجاع أكبر عدد من الألفاظ في سرعة .

أما اكتساب المعاني فهي عملية الإدراك العقلي وتصور المعاني والأفكار العامة التي ترمز إلى الأشياء، وذلك في مقابل الإدراك الحسي الذي هو تصور المفردات الجزئية الخارجية بتأثير المنبهات الحسية مباشرة .

وتبدأ عملية اكتساب المعاني منذ الطفولة الأولى وتقوم على الإدراك الحسي وملاحظة الطفل لما يحيط به من أشياء، وتقوم عمليتا التعميم والتمييز بدور هام لهذا الإكتساب، وهما عمليتان أساسيتان في التعلم واكتساب وفي تكوين العادات، فالطفل الصغير يرى في كل رجل أباه، وإن رأى شيئا صغيرا متحركا وسمعنا نقول : " إنه كلب " فإنه يرى كل قط أو أرنب كلبا فهو ينزع إلى التعميم الساذج، لكنه يتعلم بعد ذلك عن طريق التدعيم والتنشئة الاجتماعية كيف يميز بين هذه الأشياء عن طريق ملاحظة ما بينها من فوارق .

وهكذا ينتقل الطفل من تعميمات خاطئة إلى تعميمات دقيقة حيث يتعين عليه القيام بعمليتين عملية موازية وأخرى تجريدية، ففي الموازية يقارب بين ما يشاهده من كلاب وقطط وأرانب وغيرها، ومن هذه الموازنة يدرك أن للكلاب صفات مشتركة تجعلها مخالفة للقطط والأرانب.

أما في التجريد فهو يعزل بعض الصفات المشتركة بين أفراد صنف من الأشياء وتوجيه انتباهه إلى هذه الصفات المنتزعة دون غيرها، فمثلا الطفل وهو يتعلم معنى كلمة " كلب " فلا بد أن يقوم بهذه الملاحظة نفسها، فقد يكون أول كلب رآه كلبا عاديا يسمعوننا نسميه "كلبا " لكنه بعد ذلك يسمع كلمة كلب تقتزن بكلب آخر يختلف في الظاهر عن الكلب الأول اختلافا كبيرا وليكن بالكلب السلوقي ثم يسمعوننا بعد ذلك نسمي كلبا من فصيلة البلدوغ بالكلمة نفسها، ومن هذه المقارنة ينتزع الصفات المشتركة التي يراها في كل كلب ويوجه انتباهه إليها دون غيرها من الصفات العرضية، فإن رأى هذا الطفل بعد ذلك كلبا لم نسمه من قبل في حضوره كلبا استطاع أن يقول : " إنه كلب"، ذلك لأنه استطاع أن يلاحظ أن هذا الكلب يشترك في شيء مع الكلاب الأخرى التي اختلفت عنه في الشكل واللون والحجم، هذه العملية تسمى " التعميم" الذي نصل إليه من خبرات متنوعة.

ومنه نستطيع القول : إن الطفل قد اكتسب معنى كليا في قالب "كلمة" يتمكن من الاحتفاظ بها واستخدامها في المواقف المشابهة، وعلى هذا النحو يتعلم الطفل معنى الكتاب والحصان والكرة ومعنى الأخضر والأحمر من خبرات متعددة يعيشها ويمر بها، ذلك لأن اكتساب المعاني يبدأ من مفردات محسوسة وينتهي بأفكار عامة، وهذا الجانب لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار في تعليم الطفل المعاني الكلية المختلفة، لأن المدارس الحديثة في يومنا هذا أصبحت تزود التلميذ بالمعاني الجديدة المفيدة مع تهذيب ما لديه من معان غامضة .

وبما أن المعاني تكتسب كما سبق ذكره عن طريق الخبرة الفعلية المباشرة بالناس و الأشياء لذلك واجب عليها أن تتيح فرصا كافية للإتصال المباشر بالناس والمعالجة الحسية للأشياء ومقارنة بعضها ببعض وإدراك أوجه الشبه والاختلاف بين بعضها البعض كي يتسنى للتلاميذ تكوين أفكار واضحة عنها، فإن لم نرتق إلى هذا المستوى كان تحصيلهم ألفاظا جوفاء لا يفهمون معناها، ولعل هذا هو السبب في جعل الكثير من الكبار يتلفظون بألفاظ وعبارات لا يحاولون فيها فهم دلالاتها الصحيحة الدقيقة، ومن المستحسن بل

من الأفضل أن تقدم المدارس اليوم للتلاميذ الجدد الأفكار العامة المجردة المصنوعة في مصطلحات ورموز رياضية وقواعد لغوية، لأن هذه الأفكار المجردة ما هي إلا نتاج خبرات وتجارب فعلية مرت بها الإنسانية في عدة عصور متعاقبة، وقد أدى تلقين هذه الأفكار من دون الخبرات الحسية الأساسية إلى عجز التلاميذ عن فهمها وتطبيقها، ومن ثم لم يكن لها أثر في تنمية عقولهم أو في تكوين قدراتهم اللغوية، ولكي يستفيد التلميذ مما يكتسبه من معان ويتسنى له أن يعبر عنها وأن يستخدمها في تعامله، علينا أن نعلمه كيف يرمز إليها برموز حسية يشير إليها بكلمات أو علامات يمكن الاحتفاظ بها والإفادة منها، أي استرجاع ما تعلمه بسهولة، وأن يتفادى من جهة أخرى مزالق اللغة، حيث أن هناك ألفاظاً مبهمه ومتلبسة وكلمات ملتوية وهناك ألفاظ وكلمات تثير الإنحياز فتسد الطريق دونالتعم والتفكير السليم، وقد يكون الكلام أحياناً لغوياً وببغائياً لا معنى له . ومن هذا المنطلق، ونظراً لأهمية تنظيم مادة التعليم التي تسهل عملية التعلم للمتعلم، ارتأينا أنه لازم الإشارة إلى هذه النقطة بإيجاز حتى ندرك أهميتها القصوى في كل عملية تعليمية تربوية .

تنظيم مادة التعليم : من المعلوم أن وضوح الغرض من التعليم في

ذهن التلميذ يسهل عليه عملية الحفظ والتحصيل ويزيد من درجة الفهم والجهد وتركيز الانتباه لديه، لذلك يتعين علينا توضيح الأهداف القريبة والبعيدة التي ترمي إليها المواد الدراسية للتلاميذ ونحدد لها لهم تحديداً، ونذكرهم بها إن نسوها أو أغفلوا عنها، وقد لا يجب أن توضع أمام التلاميذ في أول الأمر أهداف بعيدة أو تكليفهم القيام بأعمال صعبة أو معقدة، والأهم هو التدرج في التعليم على حسب طاقاتهم مع الأخذ بعين الاعتبار تنظيم المواد الدراسية تنظيماً يسهل عليهم اكتسابها بكل بساطة، وقد دلت دراسات علماء النفس التربوي على أن المادة التي يراد تعليمها متى كانت منظمة ومفهومة وذات معنى كان تعلمها أسرع وأدق وسهلة الإسترجاع في المواقف الجديدة .

ومن البديهي أن الفرد يتعلم أشياء لم يسبق له أن عرفها، وقد يتعلمها بسرعة ويحفظها إذا كانت منظمة مفهومة، لأن التنظيم يثير اهتمام المنعّم ويزيد من رغبته في التعليم والعكس صحيح . وقد تبين أن الشيء لا يتضح معناه إلا في الملابس التي تحيط به، وأن الجزء لا يمكن فهمه إلا في صلته بالكل الذي يحتويه، فالكلمة تشتق معناها من الجملة التي تضمها وحروف الهجاء لا

يحفظها أغلب الناس إلا من انتظمت في ذهنه كتسلسل الأرقام في أذهاننا حيث أنه ناذرا من لا يقرأ تبسلسل الأرقام من 01 إلى 30 .

وإليك هذه الأمثلة التي توضح أن المادة التي يراد حفظها متى كانت منتظمة و مترابطة الأجزاء كانت أسهل في التعليم و أسهل في التذكير وتحفظ في الذهن بكل سهولة، فحاول أن تقرأ الأعمدة الأربعة الآتية واستنتج بنفسك القائمة السهلة الحفظ :

العمود الأول	العمود الثاني	العمود الثالث	العمود الرابع
كلمات لا معنى لها	كلمات لها معنى وليس لها صلة بين بعضها وبعض.	كلمات ذات معنى وبينها ارتباط منطقي.	كلمات تنتظمها جملة لها ارتباط طبيعي.
رلم - رجح - رتك - صوح - كوز - سبط	قبة - ذهب - برتقال - سماء - كرة - نحاس	عين - شبكية - وجه - جسم - يد - سروال	ضرب - أحمد - البارحة قطا - أسود - اللون

جدول رقم 3 : من خلال هذا الجدول نرى أن ما يساعد على فهم المادة وما يسهل تعليمها وتذكرها هو : انتظامها في وحدات طبيعية وارتباطها المنطقي لدى المتعلم .

الخاتمة : ختاماً لما جاء في دراستنا هذه لواقع واشكالية اكتساب اللغة العربية و التي إستعرضنا فيها النقاط التالية : مفهوم اللغة، و الواقع التاريخي الذي عاشته هذه اللغة واشكالية اكتسابها، نستطيع القول في النهاية : إذا أردنا أن يتعلم الطفل تعلماً سليماً وأن يتقن ما تعلمه إتقاناً كلياً، فخير سبيل لبلوغ هذا الغرض هو ربط البيت بالمدرسة والمحيط الإجتماعي ربطاً يقضي على التناقض الموجود بينهم في تعاملهم اللغوي، حيث قد نجد على سبيل المثال، كما سبق ذكره، أن الطفل يكتسب في البيت كلمة "المغرف"، ويكتسب من المحيط (البيئة الإجتماعية) جملة "سراتلو أكسيدون" . أما في المدرسة فيتعلم كلمة "الملعقة" وهي الكلمة التي تقابل كلمة "المغرف"، وجملة "وقع له حادث"، وهي الجملة التي تقابل جملة "سراتلو أكسيدون".

وحتى يستطيع الطفل ممارسة اللغة العربية على الوجه الصحيح خارج وداخل المدرسة فعلياً إذن أن لا ننتظره حتى يلتحق بالمدرسة ثم نقوم بتدريسه وتعليمه المواد الدراسية باللغة العربية، فالأجدر هو أن نقوم بتدريسه

من وقت مبكر على اكتساب عادات لغوية سليمة في البيت وفي المحيط الاجتماعي، ذلك ليتعامل بها هي ذاتها في المدرسة وفي صلاته العديدة بالناس.

قائمة المراجع

- ابن جني عثمان " الخصائص "، ج 1، تحقيق محمد النجار، دار الفكر العربي، بيروت .
- ابن خلدون عبد الرحمن " المقدمة " ج 1، من كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ابن منظور محمد " لسان العرب "، المجلد 15، ص 250 - 252 .
- الأمر رقم 76 - 35 المؤرخ في 16 أبريل 1976، الباب الثالث، الفصل الأول، المادة 25 . - الخوري انطوان (1969) " التربية من أفواه رجالها قديمهم وحديثهم "، (د.د.ن.) .
- بودالية قريفو مليكة (1989) المدرسة الجزائرية من ابن باديس إلى بافلوف، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر .
- بياجي جان (ترجمة) أحمد عزت راجح (1954)، " اللغة الفكر عند الطفل " مكتبة النهضة، القاهرة .
- عبد المجيد عبد العزيز (1952) " اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها " دار المعارف، القاهرة .
- مجلة الثقافة " الإنسان واللغة والفكر "، وزارة الإعلام والثقافة - العدد 48 جانفي 1978.
- مصطفى عشوي (1991) " المدرسة الجزائرية إلى أين ؟ "، دار الأمة، الجزائر
- نايف معروف (1985) خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت .
- وزارة التعليم الابتدائي والثانوي " برنامج التعليم المتوسط " المعهد التربوي الوطني الجزائر 74 - 1975 - ص 03.